أَلقَمَرُ وَالهِلالُ والتَوْقيتُ بِهِما في القرآنِ الكريمِ

عبد الأمير المؤمن
باحث فلكي - العراق

فحوى البحث

يدور البحث حول حقيقة القمر و مراحل جريانه في الفلك وصلته بالشمس والارض والتوقيت به لضبط مصالح الناس وعباداتهم. وفيه تقريب الحقائق العلمية الثابتة عنه ومقارنتها بما ورد في القرآن الكريم. كما يتطرق الباحث في سياق بحثه الى احكام ثبوت اوائل الشهور القمرية لاداء فرائض الصوم والحج، ويجسد عظمة الخالق في تدبيره ودقة حسابه مستشهداً في كل ذلك بما ورد من ايات قرآنية كريمة بشأنه، نافياً علاقة نظامه باقوال المنجمين والسحرة.

● تحديد بداية الشهر في التقويم القمري الهجري في حياتنا الدينية والمدنية من الأمور التي دار حولها جدل طويل، ونقاشات كثيرة وبحوث جمّة، لم تنته إلى الآن.

فمتى يبدأ أول الشهر القمري في التقويم الهجري أو الإسلامي؟. أيبتدئ من ولادة الهلال بعد المحاق والاقتران؟. أو من رؤية الهلال المباشرة بالعين المجردة؟.

أو من رؤية الهلال بالعين المسلحة (بالتلسكوب)؟.

أو من إمكان الرؤية على الأفق الغربي، (أي وجوده وإنْ لم تره العين)؟.

أو بطرق أخرى؟.

وإذا أمكن التساهل في إثبات ذلك في الحياة المدنية والأمور الشخصية، فلا يمكن التساهل في الأمور الدينية، في مجال الواجبات الشرعية كالصوم ووقت العيد وأيام الحجّ وغير ذلك، لأن التساهل في الأمور الدينية يؤدي إلى الحرام والمحذور الشرعي.

ولا شك في أن البحوث الأساسية في هذا المجال تستند أولاً وقبل كل شيء إلى القرآن الكريم ثم إلى السنّة الشريفة ومصادر التشريع الأخرى.

وفي هذا البحث سيدور الحديث على مسألة تحديد أوائل الشهور القمرية في القرآن الكريم، وما يتعلق بذلك كالتقويم القمري والأهلّة والشهر القمري وما إلى ذلك من أمور التقويم.

فهل أورد القرآن الكريم طريقاً أو طرقاً محدّدة لإثبات دخول الشهر القمري أم لم يورد؟.

١. الشمس والقمر لتنظيم الزمن:

خلق الله سبحانه وتعالى الأجرام السماوية والظواهر الكونية المختلفة والمواد الطبيعية المتنوعة، لتتكامل حياة الإنسان وتصبح ممكنة، فقد سخّر الله تعالى الشمس والقمر والنجوم وأموراً كثيرة أخرى للإنسان، لتوفر له احتياجاته أو بعض احتياجاته لتكون حياته ممكنة و سعيدة، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الأعراف: ٥٤].

وقال تعالى أيضاً: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُ ﴾ [سورة الجاثية: ١٣].

وهناك آيات مشابهة أخرى.

ومن بين الأجرام والظواهر الكثيرة المتنوعة التي اختارها سبحانه وتعالى لخدمة الإنسان وتسخيرها له، الشمس والقمر، أشهر جرمين سماويين بالنسبة لأهل الأرض.

فالشمس والقمر جرمان سماويان كبيران وقريبان من أهل الأرض، وأداتان أساسيتان فاعلتان أدّتا خدمات جليلة ومهمة للكائن البشري على سطح الكرة الأرضية.

وقد أدرك الإنسان ذلك منذ قديم الزمان، فأدرك قيمة الشمس في ضوئها وحرارتها ودورها في الزرع والضرع وكل الحياة، ومثل ذلك -وإن بدرجة مختلفة- قمر الأرض: فقد أدرك ذلك الإنسان قيمة القمر في نوره الشاعري في الليل ودوره في المدّ والجزر وأمور أخرى، وأدرك أيضاً ما يمكن أن يؤديا من خدمات كبيرة ومهمة في تنظيم الزمن والوقت على الأرض، وبالتالي إعمار الأرض بالزرع والعمران وشؤون الحياة الأخرى. وهكذا استطاع الإنسان منذ القدم أن يوظفهما لتقسيم الزمن والوقت وتحديد مقاطعه القصيرة والطويلة.

فمن خلال الشمس حدَّد اليوم بتقاسيمه وتفاصيله أو بعضها، من شروقها صباحاً إلى غروبها ليلاً، ومن مجموع الأيام الشمسية دورة الأرض حول الشمس توافرت للإنسان السنة الشمسية البالغة نحو ٣٦٥¼ يوماً.

ومن خلال القمر حدد الشهر وتقسيماته، وسنته البالغة ١٢ شهراً لتكون أيامها نحو ٣٥٤ يوماً.

وجاء الدين الإسلامي ونزل القرآن الكريم على صدر الرسول الأكرمﷺ، وأقرَّ كثيراً مما كان نافعاً ومفيداً قبل نزوله. وذكَّر الناسَ أن الشمس والقمر والظواهر الكونية الأخرى مخلوقات لله سبحانه وتعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ ﴾[سورة الأنبياء: ٣٣].

وأنَّها أدوات طبيعية لخدمة الإنسان في حياته على الأرض: ﴿ وَسَخَّرَ

لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِ ﴾ [سورة إبراهيم: ٣٣].

ومن خدماتهما الكثيرة هي الحساب أو الحسبان، قال عز وجل: ﴿ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ﴾[سورة الرحمن: ٥].

وقال عز من قال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَ ... ﴾ [سورة يونس: ٥].

وقال تعالى أيضاً: ﴿ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗا ﴾[سورة الأنعام: ٩٦].

يقول الطبرسي في تفسير هذه الآية الأخيرة ﴿ وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ ﴾ (أي وقدّر القمر منازل معلومة (لتعلموا) به وبمنازله ﴿ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَ ﴾ وأول الشهر وآخره، وانقضاء كل سنة وكميتها، وجعل الشمس والقمر آيتين من آيات الله تعالى وفيهما أعظم الدلالات على وحدانيته تعالى)[1].

وتصوروا لو لم تكن الشمس والقمر، ولم تكن لهما هذه الحركات المتعددة وآثارها على الأرض، تصوروا كم سنكون في حيرة وعماء من زمن ممتد لا وضوح لأوله ولا لآخره. (طبعاً هذا افتراض فانعدام الشمس والقمر هو انعدام الحياة بالقطع).

٢. القمر والهلال في القرآن:

من بين المفردات الفلكية والكونية والظواهر السماوية الكثيرة الواردة في القرآن الكريم وردت مفردة القمر مع بعض تفاصيله، أي ورد القمر نفسه، وورد بعضه عندما تسقط عليه الشمس، أي وردت أجزاء من القمر بكلمة (الأهلّة) جمع هلال، كما سنذكر لاحقاً.

والقمر في القرآن الكريم جِرمٌ سماوي كأي جرم سماوي آخر يدور في فلك محدد له لا يحيد عنه أبداً، يجري بشكل دقيق لا يخرج ولا يضطرب، مطيعاً لربه على وفق ما حدده الله سبحانه وتعالى، وكذلك الأجرام الأخرى، كل له مجراه ومساره الكوني الخاص به، يقول سبحانه وتعالى في القرآن الكريم: ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ

(١) مجمع البيان، الطبرسي ٥: ١٣٨.

ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾[سورة يس: ٣٨ – ٤٠].

وفضلاً عما ورد من ذكر لتحديد مدار القمر، أوردت الآية الشريفة وصفاً جميلاً أدبياً وعلمياً لمواقع النجوم المعروفة التي ينزل فيها القمر، فهو يجري أثناء مداره حول الكرة الأرضية في منازل (أي مواقع سماوية محددة)[٢] وأثناء مداره ينتقل بين هلال ونصف كرة (نصف بدر) ثم بدر كامل ثم نصف كرة ثم هلال ثم يذهب نوره ويسمى (المحاق).

وهذا هو تسخير فعلي للقمر لخدمة الإنسان ليعرف من خلال هذه التغيّرات الوقت والزمن، فمن خلال أحجام القمر نعرف أيام الشهر، فالهلال الرفيع هو أول الشهر والبدر التام هو منتصف الشهر وهكذا أجزاء القمر الأخرى.

والهلال هو جرم سماوي أو جزء من القمر، وهو عادة خط ضوئي مُنْحنٍ ضعيف يشاهد في السماء عندما يقع ضوء الشمس على جزء صغير من القمر، ويشاهد في أول الشهر ويسمى (الهلال الجديد) ويشاهد أيضاً في آخر الشهر ويسمى (الهلال القديم).

وفي مصادر اللغة العربية يقول ابو هلال العسكري المتوفى ٣٩٥هـ: ((الهلال ثلاث ثم هو قمر إلى آخر الشهر. ويقال أهلَّ الهلال واستهل على فعل ما لم يُسم فاعله، وأهللنا نحن إذا رأيناه))[٣].

وعند علماء الطبيعة يقول العالم ابن الهيثم المتوفى سنة ٤٣٠ ((الهلال في أول ظهوره لا يظهر له ضوء وخاصة إذا كان مع ظهوره قريباً من الشمس، وهو جزء من السطح المضيء من القمر يشرق منه ضوء على كل نقطة تقابله، وعلة ذلك أن كل ضوء فإنما يظهر في المكان المعظم الذي لا ضوء فيه أو في المكان الذي فيه ضوء دون ذلك الضوء في الإشراق))[٤].

(٢) الكشاف، الزمخشري ٤/ ١٩، (فيه ذكر منازل القمر الثمانية والعشرين)، وانظر تفصيل المنازل في كتابنا: قاموس دار العلم الفلكي، كل منزل في مادته.

(٣) كتاب التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، ابو هلال العسكري: ٤٠٥، وانظر أيضاً: لسان العرب لابن منظور ١١: ٧٢٠، والقاموس المحيط للفيروزآبادي ١٠٧٢ وغيرهم.

(٤) رسالة في الضوء (مجموع الرسائل) ابن الهيثم: ١٦.

أما في القرآن الكريم فلم يرد الهلال، لم ترد لفظة الهلال بالمفرد، على الرغم من ورود لفظة (القمر)، ولكن ورد جمع الهلال وهي لفظة (الأهلة) بقوله سبحانه وتعالى في الآية الكريمة ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ [سورة البقرة: ١٨٩].

ذاكراً فيها سبحانه وتعالى ﴿ٱلْأَهِلَّةِ﴾ الهلال بعد الهلال لحاجة الناس إلى معرفة مقادير الأوقات خلال الشهر دون حسابات وعناء.

يقول الطبرسي في لغة هذه الآية: (الأهلة جمع هلال واشتقاقه من قولهم: استهل الصبي إذا بكى حين يولد أو صاح، وقولهم أهلّ القوم بالحج إذا رفعوا أصواتهم بالتلبية وإنما قيل هلال لأنه حين يُرى يهلّ الناس بذكره، يقال أُهِلَّ الهلال واستهل ولا يقال أهلَّ ويقال أهللنا الهلال، وأهللنا شهر كذا أي دخلنا فيه)[٥].

٣. التقويم والشهر في القرآن الكريم

وإذا ذكر المفسرون والباحثون أنَّ القرآن الكريم احتوى على كل شيء أو احتوى على عموميات وكليات العلوم أو أطراف منها، مستشهدين بعدد من الآيات الكريمة، منها: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾[سورة الأنعام: ٣٨]. ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾[سورة النحل: ٨٩].

وإذا أكد القرآن الكريم من جانب آخر على عدد من الأجرام السماوية والظواهر الكونية وأكد دورها في خدمة الحياة والإنسان، فهل ورد التقويم في القرآن الكريم؟. وأي تقويم ورد؟.

الذي لا شك فيه أنَّ مصطلح التقويم الدال على تقسيم الزمن وتقطيعه، لم يرد، ولكن في الوقت نفسه وردت تطبيقات التقويم ومفرداته الأساسية من يوم وشهر وسنة.

وردت من خلال مفردات فلكية محددة: الشمس والقمر والأرض، وهي أسس التقاويم جميعاً.

فالشمس للتقويم الشمسي والقمر للتقويم القمري، وقد أخذ القرآن الكريم بالتقويم القمري مُقِرّاً ومؤكداً ما كان سائداً عند العرب في عصر ما

(٥) مجمع البيان، الطبرسي ٢: ٥٠٧.

قبل الإسلام، وربط به بعض الواجبات الشرعية كالصوم وغيره.

وأكبر دليل على إقرار هذا التقويم (التقويم القمري) هو تأكيد الشهر القمري كوحدة زمنية أساسية اعتمدها القرآن الكريم في شؤون الدين الإسلامي المختلفة.

والشهر[٦] هو كمية زمنية محددة، وهو أحد أقسام السنة، ويحتوي على عدد معروف من الأيام، وتتفاوت أطوال شهور التقاويم عبر السنة بين ٢٨ و٣١ يوماً، وفي اللغة ((القمر)) سُمي بذلك لشهرته وظهوره))[٧].

والشهور إمّا قمرية أو شمسية، والشهور القمرية تتألف من ٢٩ يوماً و١٢ ساعة و٤٤ دقيقة ٢. ٨ ثانية، وهي المدّة التي يستغرقها القمر في دورانه حول الأرض.

وأما الشهور الشمسية فتتألف من ٣٠ يوماً و١٠ ساعات و٢٩ دقيقة و٣. ٨ ثانية، وهي ١ من ١٢ من المدة التي يستغرقها دوران الكرة الأرضة حول الشمس.

وحول الشهر القمري الذي أخذ به العرب والمسلمون يقول القلقشندي: (ومدة الشهر عندهم (عند العرب) من رؤية الهلال إلى رؤية الهلال، وهي أسهل الطرق وأقربها، وعليها جاء الشرع، وبها نطق التنزيل قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾[٨].

وقد وردت كلمة: (الشهر) و (الشهرين) و (الشهور) و (الأشهر) في القرآن الكريم للدلالة على الشهر القمري، الذي تبناه القرآن الكريم وأخذ به الدين الإسلامي في أحكامه وشؤونه المختلفة، دون أن يذكر أسماء الأشهر القمرية الاثني عشر للسنة القمرية الهجرية التي اعتمدها القرآن الكريم في التقويم، باستثناء الشهر التاسع شهر رمضان الكريم، وقد ورد مرّة واحدة أثناء الحديث عن الصيام، بوصفه شهر الصوم الواجب على كل مسلم مكلّف.

(٦) انظر: حول الشهر، البحث القيم للأستاذ الدكتور أحمد مطلوب (الشهور العربية) في كتاب (بحوث تراثية) الذي نشره المجمع العلمي العراقي سنة ٢٠٠١.

(٧) لسان العرب، ابن منظور ٤: ٤٣٢.

(٨) صبح الأعشى، القلقشندي ٢: ٣٩٤-٣٩٥.

قال سبحانه وتعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾ [سورة البقرة: ١٨٥].

وقد أكد القرآن الكريم هذا النوع من الشهور (الشهور القمرية) بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾[سورة التوبة: ٣٦].

يقول الطبرسي في تفسير هذه الآية الشريفة: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا ﴾ (أي عدد شهور السنة في حكم الله وتقديره اثنا عشر شهراً وإنما تعبد الله المسلمين أن يجعلوا سنيهم على اثني عشر شهراً ليوافق ذلك عدد الأهلة ومنازل القمر دون ما دان به أهل الكتاب.

والشهر مأخوذ من شهرة الأمر لحاجة الناس إليه في معاملاتهم ومحل ديونهم وحجهم وصومهم وغير ذلك من مصالحهم المتعلقة بالشهور)[٩].

وكذلك (الأهلة) الواردة في الآية الشريفة ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾[سورة البقرة: ١٨٩] لها علاقة مباشرة بالشهر القمري.

فالهلال الذي يبتدئ به الشهر القمري هو جزء من القمر والشهر القمري، ولا علاقة له بالشهر الشمسي الذي هو أحد أجزاء السنة الشمسية التي تتكون من دوران الكرة الأرضية حول الشمس.

وكذلك ذكر (المنازل) الواردة في الآية الشريفة ﴿ وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ﴾[سورة يونس: ٥] لها علاقة بالشهر القمري.

٤. وهل حدد القرآن بداية الشهر؟.

وإذا عرفنا ذلك، عرفنا أن القرآن الكريم استعمل التقويم القمري، وعرفنا أيضاً أن الشهر الوارد في القرآن هو الشهر القمري، فهل نستطيع في ضوء المذكور أن نلتقط نصاً أو معنى أو إشارة تحدد لنا بداية الشهر، وتقدم لنا طريقة أو وسيلة لتحديد بداية الشهر أو الأشهر القمرية لإثبات دخول الشهر القمري الجديد، دخول شهر رمضان، أو شوال، أو ذي الحجة أو غيرها من الشهور؟.

(٩) مجمع البيان، الطبرسي ٥: ٤٢.

ويمكن هنا الحديث عن آيتين شريفتين تتحدثان عن الأهلة ومسألة الشهر القمري.

١-﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ... ﴾ [سورة البقرة: ١٨٥].

٢-﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾[سورة البقرة: ١٨٩].

والذي يدخل في موضوعنا هنا هو الجزء الثاني من الآية الشريفة المذكورة ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾.

فماذا يعني هذا الجزء من الآية الشريفة؟.

هل المقصود من (شهد) شاهد في الآية الشريفة؟.

هل المقصود من (الشهر) الهلال في الآية الشريفة؟.

وإذا كان المقصود ذلك، فهل يستدل من ذلك على ثبوت الهلال بالرؤية؟.

الحقيقة أن السياق والقرائن والمعنى العام للآية الشريفة لا يدل على أن الآية في صدد الاستدلال على ثبوت الهلال، ولذلك يجب التماس ذلك من مصدر آخر، الحديث أو غيره.

فشهد هنا تعني حضَرَ، يقول الجوهري في صحاحه: ((وشهده شهوداً أي حضره، فهو شاهد، وقوم شهود أي حضور))[١٠].

والدليل على أن المقصود من شهد حضر هنا، قوله تعالى: ﴿ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ... ﴾، وكرر ذكر المرض والسفر للتأكيد بأن شهر رمضان يجوز فيه الإفطار في حالات خاصّة.

وفي الآية الشريفة المذكورة أكَّدَ العلماء والمفسرون أن (شهد) تعني الحضور في البلد (أي حضر في بلده ولم يسافر في شهر رمضان وعليه أن يصوم أيامه).

وسنذكر هنا بعض مَنْ ذكر ذلك:

يقول الثعلبي في تفسيره الآية الشريفة: ((معناها فمن شهده عاقلاً بالغاً مقيماً صحيحاً مطلقاً فليصمه قاله أبو حنيفة وأصحابه، وقال قوم: معناها: إذا

(١٠) الصحاح، الجوهري ٢: ٤٩٤.

دخل عليه شهر رمضان وهو مقيم في داره فليصم الشهر كلّه...))[11].

وقال قتادة: (إنّ علياً عليه السلام كان يقول: إذا أدركه رمضان وهو مقيم ثم سافر فعليه الصوم).

ويقول الثعلبي أيضاً: (﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُ﴾ ما شهد منه وكان حاضراً وإن سافر فله الإفطار إن يشأ)[12].

ويقول الزمخشري: (﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُ﴾ فمن كان شاهداً، أي حاضراً مقيماً غير مسافر في الشهر فليصم ولا يفطر)[13].

ويقول الطبرسي: (﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: فمن شهد منكم المصر وحضر ولم يغب في الشهر، والألف واللام في الشهر للعهد والمراد به شهر رمضان فليصم جميعه.

والثاني: من شاهد منكم الشهر مقيماً مطلقاً فليصم الشهر بعينه...)[14].

ويقول الفخر الرازي: (شهد أي حضر والشهود الحضور)[15].

(والتقدير: مَن شاهد الشهر بعقله ومعرفته فليصمه، وهو كما يقال: شهدت عصر فلان، وأدركت زمان فلان)[16].

ويقول القرطبي: (وشهد بمعنى حضر، وفيه إضمار، أي من شهد منكم المصر في الشهر عاقلاً بالغاً صحيحاً مقيماً فليصمه)[17].

ومن المفسرين المعاصرين يقول العلامة الطباطبائي: (﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُ﴾: الشهادة هي الحضور مع تحمل العلم من جهته، وشهادة الشهر إنما هو بلوغه والعلم به ويكون بالبعض كما يكون بالكل.

وأما كون المراد بشهود الشهر رؤية هلاله وكون الإنسان بالحَضَر مقابل السفر فلا دليل عليه إلا من طريق الملازمة في بعض الأوقات بحسب القرائن ولا قرينة في الآية)[18].

(١١) الكشف والبيان، الثعلبي ٢: ٧٠.
(١٢) المرجع السابق ٢: ٧١.
(١٣) الكشاف، الزمخشري ١: ٢٥٤.
(١٤) مجمع البيان، الطبرسي ٢: ٤٩٨.
(١٥) التفسير الكبير، الفخر الرازي ٢: ٨٨.
(١٦) المرجع السابق ٢: ٨٨.
(١٧) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٢: ٢٩٩.
(١٨) الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين=

وهكذا مفسرون آخرون يؤكدون هذا المعنى (الحضور)، وقد التقط العلماء والفقهاء هذه الآية، واتفقوا على أن كلمة (شهد) في الآية يراد بها الحضور بمعنى عدم السفر وليس الرؤية، وسياق الآية الشريفة كاف في الدلالة إضافة إلى ما يؤيد ذلك من الروايات الصحيحة.

جاء في تذكرة الفقهاء: قال الصادق عليه السلام، وقد سئل عن قوله تعالى: ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُ ﴾. (ما أبْيَنَها من شهد فليصمه، ومن سافر فلا يصمه)[19].

ومن العلماء يقول العلامة الحلي ت ٧٢٦: (فإن من شهد الشهر وجب عليه صيامه، لكن المسافر لم يشهده فلا يتناوله الأمر)[20].

ولا مجال للتطويل فالبحث ليس فقهياً.

أما الآية الشريفة الأخرى التي يمكن الحديث عنها في موضوعنا فهي ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ قُلۡ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلۡحَجِّ ﴾.

وعلى الرغم من أنّ الأهلة علامات لدخول الأشهر ونهاياتها كما هو في الواقع إلا أنَّ الآية لم تشر إلى طرق إثبات أوائل ظهور الأهلة لنعرف دخول الشهر.

وأساس الآية الشريفة هو جواب عن سؤال معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الأنصاري حيث قالا: يا رسول الله، ما بال الهلال يبدو دقيقاً مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلىء ويستوي، ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا لا يكون على حالة واحدة؟ فنزلت (مواقيت) معالم يوقت بها الناس مزارعهم ومتاجرهم ومحال ديونهم وصومهم وفطرهم وعِدَدَ نسائهم وأيام حيضهن ومدد حملهن وغير ذلك[21].

وفي معنى الآية ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِ ﴾ يقول الطبرسي: (أي أحوال الأهلة في زيادتها ونقصانها ووجه الحكمة في ذلك، قل يا محمد هي مواقيت للناس والحج، أي هي مواقيت يحتاج الناس إلى مقاديرها في صومهم وفطرهم وعدد

=الطباطبائي ٢: ٢٤.

(١٩) تذكرة الفقهاء، العلامة الحلّي ٦: ١٥٢.

(٢٠) مختلف الشيعة، العلامة الحلّي ٣: ٤٦١.

(٢١) الكشاف، الزمخشري ١: ٢٦١.

نسائهم ومحل ديونهم وحجهم، فبيَّن سبحانه أن وجه الحكمة في زيادة القمر ونقصانه ما تعلق بذلك من مصالح الدين والدنيا لأن الهلال لو كان مدوراً أبداً مثل الشمس لم يمكن التوقيت به...)[٢٢].

ويوضح السيد الطباطبائي الإتيان (بالأهلة) جمعاً فيقول: (ففي إتيان الأهلة بصيغة الجمع دلالة على أن السؤال إنما كان عن السبب أو الفائدة في ظهور القمر هلالاً بعد هلال ورسمه الشهور القمرية، وعبَّر عن ذلك بالأهلة لأنها هي المحققة لذلك فأجيب بالفائدة.

ويستفاد ذلك من خصوص الجواب: ﴿ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ﴾، فإن المواقيت وهي الأزمان المضروبة للأفعال، والأعمال هي الشهور دون الأهلة التي ليست بأزمنة، وإنما هي أشكال وصور في القمر)[٢٣].

ثم يقول السيد الطباطبائي: (وبالجملة قد تحصَّل أن الغرض في السؤال إنما كان متعلقاً بشأن الشهور القمرية من حيث السبب أو الفائدة فأجيب ببيان الفائدة وانها أزمان وأوقات مضروبة للناس في أمور معاشهم ومعادهم، فإن الإنسان لابد له من حيث الخلقة من أن يقدر أفعاله وأعماله التي جميعها من سنخ الحركة بالزمان، ولازم ذلك أن يتقطع الزمان الممتد الذي ينطبق عليه أمورهم قطعاً صغاراً وكباراً مثل الليل والنهار واليوم والشهر والفصول والسنين بالعناية الإلهية التي تدبر أمور خلقه وتهديهم إلى صلاح حياتهم، والتقطيع الظاهر الذي يستفيد منه العالم والجاهل والبدوي والحضري ويسهل حفظه على الجميع إنما هو تقطيع الأيام بالشهور القمرية التي يدركه كل صحيح الإدراك مستقيم الحواس من الناس دون الشهور الشمسية التي ما تنبه لشأنها ولم ينل دقيق حسابها الإنسان إلا بعد قرون وأحقاب من بدء حياته في الأرض وهو مع ذلك ليس في وسع جميع الناس دائماً)[٢٤].

وعلى هذا فذكر الأهلة في الآية

(٢٢) مجمع البيان، الطبرسي ١: ٥٠٨.
(٢٣) الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي ٢: ٥٦.
(٢٤) المرجع السابق ٢: ٥٦.

الشريفة جاء لتنظيم الزمن وتقطيعه لفائدة الناس في أمور حياتهم المختلفة.

فمن خلال النظر إلى الأهلة المتاح لكل فرد، وفر الله تعالى معرفة ميسورة بأوقات الشهر القمري، وهي طريقة لا يمكن استخدامها في الشهر الشمسي الذي لا يدرك إلا بالحساب.

وبذلك فالآية الشريفة لا تتحدث عن طريقة أو طرق لإثبات أوائل الشهور القمرية.

٥. القرآن يُجمِل والسُنَّة تحدّد:

من خلال ذلك، ومن خلال ما ورد من مواد كونية وفلكية وأجرام سماوية وظواهر كونية في القرآن الكريم، يخرج الباحث والمتتبع بصورة إجمالية لقضية الزمن والتقويم ومفرداتها، اليوم والشهر والسنة، وتقسيمات زمنية أخرى.

صورة إجمالية على طريقة القرآن الكريم، فيه علوم ومعارف وأفكار وقضايا ضمن الهدف العام، الهداية والرحمة، قال تعالى: ﴿فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ [سورة الأنعام: ١٥٧].

وقد يذكر بعض التفاصيل، وقد لا يذكر، حسب ما يراه مناسباً، فهو دستور الإسلام والمسلمين، وعلينا اتباعه.

وإذا ذكر القرآن الكريم التقويم القمري والشهر القمري (الهجري) والأهلة الدالّة على الشهور القمرية، فقد تكفل الحديث الشريف بتحديد أوائل الشهور وإثبات دخولها وبعض تفاصيلها.

والحديث المشهور أو الأشهر في هذه المسألة، مسألة تحديد أوائل الشهور القمرية أو بداياتها هو الحديث الشريف المعروف، قول الرسول الأكرم ﷺ: ((صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته))، والذي اتفقت عليه المذاهب الإسلامية واشتهر شهرة كبيرة.

ومحور الحديث هو (الرؤية) التي كانت واضحة المعنى في زمن الرسول الأعظم ﷺ وما بعده، واختلف في تفسيرها في عصور التطوّر العلمي بين أن تكون غاية أو وسيلة، كما في النقاشات الجارية في الوقت الحاضر، في قضية رؤية الهلال أو العلم به.

وقد ورد الحديث الشريف المذكور آنفاً بصيغ مختلفة، مع بعض التفاصيل وبدونها، ولكن المحور الأساس هو

(الرؤية) كما ذكرنا، ويمكن أن نذكر هنا بعض هذه الصيغ المختلفة:

- ما رواه الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((إنّه سُئل عن الأهلّة؟ فقال: هي أهلّة الشهور، فإذا رأيت الهلال فصم، وإذا رأيته فافطر))[٢٥].
- ما رواه إسحاق بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: ((في كتاب علي عليه السلام صم لرؤيته وافطر لرؤيته، وإياك والشك والظن، فإن خفي عليكم فأتموا الشهر الأول ثلاثين))[٢٦].
- ما رواه عبد السلام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: ((إذا رأيت الهلال فصم، وإذا رأيت الهلال فافطر))[٢٧].

وفي روايات المذاهب الأخرى تجد المعنى نفسه.

والمحصلة النهائية: لم يتركنا الشرع الإسلامي في حيرة، وإنّما وفَّرَ لنا مصادر تشريع عديدة، فإذا لم يتوافر الحل في المصدر الأول (القرآن الكريم) فهو (أي الحل) في المصادر الأخرى، ودراسة ذلك من مسؤولية العلماء والفقهاء في الدرجة الأولى.

القمر في القرآن الكريم مادّة إيمانية وعلمية

حفل القرآن الكريم بمختلف الأفكار والمعلومات والتنوعات العلمية والمعرفية، فهناك مادة دينية وتاريخية وعلمية، وفلكية، وطبية، وحيوانية، ونباتية وأخرى غيرها.

ومن بين ما أورد القرآن الكريم، أورد مادة كونية فلكية جمّة ومهمة، حفل بأجرام سماوية متنوعة وظواهر كونية مثيرة ومفردات طبيعية هائلة.

وإذا وردت تلك الأجرام والظواهر والمفردات الطبيعية لمعانٍ علمية محدودة في القراءة الأولى، فإنَّ وراء تلك المعاني أهدافاً قرآنية إلهية أكبر وأعمق وأشمل، وأهم تلك الأهداف، الهدف التوحيدي الكبير، فهي (الأجرام والظواهر) أدلةٌ واضحة وسهلة على وجود الله سبحانه وتعالى وعظمته وقدرته المطلقة، وهيمنته على الكون كلّه. وهي -بلا شك- دلائل

(٢٥) وسائل الشيعة، الحر العاملي، كتاب الصوم ١٠: ٢٥٢.
(٢٦) المرجع السائق ١٠: ٢٥٥.
(٢٧) المرجع السابق ١٠: ٢٥٨.

قرآنية قوية، واضحة يدركها الحسّ دون أيّ عناء لتنطلق إلى ما وراء الحسّ والشهادة إلى الغيب، إلى الإيمان بقوة عظمى مطلقة، وهي أدلة لا يمكن أن يفلت منها أيّ عاقل مهما كانت درجة عقله.

وبغير هذه القوة المطلقة لا يمكن تفسير وجود هذه الأجرام والظواهر الكبيرة، الشمس والقمر والنجوم والسماء وحركاتها في الأفلاك والكون. ليس هناك غير الله الخالق المبدع والقوّة المطلقة وإلاّ نقع في الحيرة والابتعاد عن الإيمان.

١. القمر جرم سماوي نموذجي:

وإذا ما قرأت الأجرام السماوية والظواهر الكونية التي تضمنتها الآيات القرآنية الكريمة، وجدت للقمر الأرضي حضوراً كبيراً وواضحاً، ومفصلاً بعض التفصيل، حضوراً كحضور القمر الواضح في سماء الليل القريبة، سماء الكرة الأرضية.

فالقمر أو القمر الأرضي هو الجرم الأقرب إلى سطح الأرض والأكثر معالم وتفاصيل ووضوحاً، عند النظر المجرد أو من خلال جهاز التلسكوب أو من خلال الأجهزة العلمية الأكثر تطوراً.

ومن خلال هذا الظهور الواضح والقريب، كان القمر الأرضي أساساً متيناً لمنافع حياتية كثيرة، منها: المتعة بنورهِ الفضّي الليلي الهادئ، ودوره في تنظيم الزمن وتقسيمه إلى أشهر وأيام، وتأثيره على الحياة البحرية كحركات المد والجزر، ومنافع وفوائد حياتية أخرى لا مجال لذكرها هنا.

وهذا خلاف عدد من الأجرام السماوية والظواهر الكونية الأخرى التي كثيراً ما يلفها الغموض.

وإذا ما احتاجت معرفة الأجرام السماوية الأخرى جهداً كبيراً وأجهزة عادية أو معقدة لرؤيتها ودراستها، فالقمر الأرضي لا يحتاج إلى جهد كبير وإمكانات كبيرة ومعقدة لدراسته، فهو ـ كما ذكرنا ـ أقرب الأجرام السماوية إلى الكرة الأرضية وأوضحها، على الرغم من صغر حجمه النسبي قياساً بالأجرام السماوية الأخرى.

ويمكن إدراك تفاصيله أو بعض تفاصيل سطحه الخارجي من خلال النظر العادي المجرد أو بتلسكوب عادي صغير

محدود لنرى جباله وأوديته (التي تعرف ببحار القمر) أي مساحاته الواسعة. وكان تلسكوب الفلكي الإيطالي غاليليو المتوفى سنة ١٦٤٢م الذي شاهد فيه بعض معالم سطح القمر يكبر نحو ٣٠ مرة، وهي إمكانية محدودة جداً.

وقد ذكر القرآن بعض تفاصيل القمر الصحيحة منذ نحو أربعة عشر قرناً من الزمان، قبل الاكتشافات الحديثة بنحو عشرة قرون. وقد عرف علماء الفلك المسلمون الكثير أو العديد من تفاصيل القمر قبل العصر الحديث.

وفي العصر الحديث عرف كثير من تفاصيل القمر (سطحه وداخله) قبل عصر الفضاء، وكان من أكثر الأجرام السماوية وضوحاً وتفاصيل، وفي وقتنا الحاضر يكاد يكون القمر (مادة أرضية لا سماوية) حيث استطاع علماء الفلك والفيزياء دراسة معالم القمر وتفاصيله وأحجاره وصخوره وأتربته وفوهاته من على سطح الأرض، وفي مختبرات أرضية (موجودة على الأرض).

وقد أدرك القرآن الكريم هذا الوضوح، قبل الوضوح الحديث، فذكر بعضاً من مواصفاته وتفاصيله وأهميته، وكونه أحد الأدلة الدامغة على وجود الخالق المبدع المطلق وقدرته الهائلة المطلقة.

٢. القمر في الفلك الحديث:

وقبل أن ندخل في مواصفات وتفاصيل القمر في القرآن الكريم، لابد أن نتحدث عن القمر في العصر الحديث، لكي يتكامل موضوعنا ونكون على بينة من حقيقة القمر العلمية كما تحدث عنها علم الفلك الحديث.

والقمر في علم الفلك الحديث مادة علمية كونية درسها العلماء بمنهج علمي رصديّ ملاحظاتيّ ودخلت أحجاره وصخوره في المختبرات الأرضية، وتكونت لدينا صورة علمية ممتازة، وإن لم تكن متكاملة.

فهو تابع طبيعي للكرة الأرضية، وهو التابع الوحيد لها. وإذا ما قارناه بمتبوعه فهو كبير قياساً بالأرض.

والقمر كرة سماوية صغيرة قياساً بالأجرام السماوية الأخرى، فلا يتجاوز حجمه ١/ ٤٩ من كرة الأرض، يبلغ

قطره نحو ٣٤٧٦ كيلومتراً، وتبلغ كتلته ١/ ٨٠ من كتلة الأرض.

وتبعاً لضآلة كتلته صارت جاذبيته سدس جاذبية الأرض، والذي يمشي على سطح القمر يمشي فقزاً، وصارت سرعة الافلات من سطحه صغيرة، وتبلغ ٢. ٤ كيلومترات في الثانية الواحدة.

وهو يدور حول الأرض في مدار اهليلجي بيضوي، ومتوسط مسافته عن الأرض نحو ٣٨٤. ٤٠٠ كيلومتر، ويتم دورته حولها في ٢٧. ٣٢ يوماً، وفي الوقت نفسه يتم دورته حول نفسه في ٢٧. ٣٢ يوماً أيضاً، ولتساوي الدورتين يظهر القمر لسكان الأرض وجهاً واحداً في كل الأوقات.

ولا يملك القمر غلافاً جوياً، ولذلك يتعرض للقصف المستمر بأنواع الاشعاعات القادمة من السماء. وحين تسقط الشمس على القمر نهاراً تصل درجة حرارته إلى نحو ١١٠ درجات مئوية، لكنها تتبدد تماماً في ليله لتصل درجة حرارته إلى نحو ١٣٠ درجة مئوية تحت الصفر (وذلك لعدم وجود غلاف جوّي يمسكها).

وهو جرم سماوي مظلم كبقية أعضاء النظام الشمسي، يستمد نوره من ضوء الشمس، فيتغيّر الجزء المضيء منه من يوم لآخر في الحجم والشكل، وتُعرف هذه الظاهرة بأطوار القمر أو أوجهه.

وهناك عدة نظريات تفسّر نشوء القمر وتاريخ ولادته، ولعلّ أهمها تلك التي تقول: إن الأرض والقمر نشآ في وقت واحد منذ ما يقارب ٤. ٦ مليار سنة.

وفي النصف الثاني من القرن العشرين نزل أول رجل على سطح القمر في ٢٠ تموز في سنة ١٩٦٩، ودرسه دراسة ميدانية مفصلة إلى حدّ ما، ليأتي بعد ذلك إنزال عدد من البعثات لدراسة سطحه وبعض تفاصيله.

٣. في القرآن قمر علمي لا خرافي:

وإذا ما قرأنا القمر في القرآن الكريم- وهو عادة قمر الأرض -فسنعرف أنه قمر علمي لا خرافي ولا خيالي، قمر واضح المعالم، لا يكتنفه الغموض، ولا يَسبح في الخيال العلمي المفتوح.

ولقمر الأرض أهمية خاصّة في القرآن الكريم، ومكانة فريدة لم تنلها المواد

السماوية الكونية الأخرى، أو تقترب منها.

فقد تناثر ذكر القمر في القرآن الكريم في عدد من آياته الكريم، فوردت كلمة القمر ٢٧ مرة وهو لا يقل كثيراً عن عدد كلمات الشمس الواردة في القرآن والبالغة ٣٣ مرة، على الرغم من أن الشمس تكبر الأرض أكثر من مليون مرة، وأهميتها أكبر من أهمية القمر بكثير.

وقد وردت هذه الكثرةُ القمريةُ بمواصفات وخصائص علمية متنوعة، وفي كل ما ورد لا يخالف ما ورد في علم الفلك الحديث والمعاصر، والأصح لا يخالفها علم الفلك الحديث.

ويجب أن نقول إن الذي ورد هو مادة قمرية علمية إجمالية تتحدث عن أسس عامة وكليات أساسية على طريقة القرآن وعلى وفق الأساس القرآني (هدى ورحمة) وكثيراً ما استشهد القرآن الكريم بمواد علمية وتاريخية وإنسانية تصب في عمق هذا الهدف والأساس القرآني.

لقد جاء هذا الجرم السماوي الوديع في القرآن الكريم قمراً علمياً واضحاً قابلاً للدراسة والبحث، فهو جِرم سماوي منير (وليس مضيئاً كالشمس) يتحرك في مدار أو فلك كما تدور الأجرام السماوية الأخرى. وليس جرماً معبوداً ولا إلهاً مقدساً ولا موضوعاً من موضوعات التنجيم الخرافي يستخدمه المنجمون الدجالون لتحديد أعمار ومصائر الناس والبلدان والممالك.

انه جرم سماوي عادي يمكن التعامل معه تعاملاً علمياً وحتى تجريبياً، وعلى كثير من الدقة والوضوح كبقية مخلوقات الله الواضحة.

وعلى هذا الأساس جاء القمر في القرآن الكريم مادة سماوية واضحة وقريبة وميسورة لمعرفة القدرة الإلهية المطلقة، وجاء أحد الأدلة المهمة الواضحة والسريعة على وجود خالق مبدع لا نظير له لهذا الكون الشاسع.

٤. مخلوق ومطيع ومسخَّر:

وقمر الأرض مخلوق لله سبحانه وتعالى، فيه كل صفات المخلوقية للباري عز وجل، وهو جِرمٌ سماوي كسائر المخلوقات السماوية أو الأرضية خلقه الله تعالى من العدم، بعد أن لم يكن.

وللقمر أجل وزمن محدد، وسيفنى في وقت من الأوقات، كما ستنتهي كل المخلوقات في آجالها التي حددها الباري عز وجل.

وقد أورد القرآن الكريم مخلوقيته بشكل واضح وصريح، بقوله عز وجل: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ ﴾ [سورة الأنبياء: ٣٣] فالعبودية لله وحده والسجود له تعالى لا لغيره، ذكر ذلك بقوله عز وجل: ﴿ وَمِنۡ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴾ [سورة فصلت: ٣٧].

والقمر جِرمٌ مطيع لربه يسجد له كما تسجد مخلوقات الله تعالى الأخرى، قال عز من قائل: ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [سورة الحج: ١٨].

وهو يسبّح لله تعالى كما تسبّح المخلوقات الأخرى وكل شيء في الكون، قال عز وجل: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَىۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَـٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡ ﴾ [سورة الإسراء: ٤٤].

والقمر في كل الحالات هو جِرمٌ سماوي سخره الله عز وجل كما سخر الشمس والنجوم ومخلوقاته الأخرى، سخره لعباده ولأغراض عديدة، ولولا هذا التسخير لحدث خلل في الحياة البشرية قال عز من قائل: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأٓيَـٰتٍ لِّقَوۡمٍ يَعۡقِلُونَ ﴾ [سورة النحل: ١٢].

وقال عز وجل: ﴿ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَـٰلَمِينَ ﴾ [سورة الأعراف: ٥٤].

٥. تبعية القمر للشمس:

على الرغم من أهيمة قمر الأرض في القرآن الكريم، وورود جِرماً سماوياً مهماً مستقلاً في وجوده وبمواصفات علمية واضحة، على الرغم من ذلك، عرفنا من جانب آخر أن القمر في القرآن

الكريم تابع وليس مستقلاً، بل جِرماً تابعاً للأرض من جانب وجِرماً تابعاً للشمس في الوقت نفسه يستمد نوره منها ويتلوها من جانب آخر.

ويمكن أن نفهم هذه التبعية القمرية للشمس من خلال الآية الشريفة ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾ [سورة الشمس: ١ -٢].

في هذه الآية الكريمة يقسم الباري عز وجل بجرم الشمس وضحاها وهي أقرب النجوم إلى الكرة الأرضية.

ويقسم مرة أخرى بضحى الشمس الذي يلي شروق الشمس إلى ما قبل الظهر.

ويقسم ثالثةً بقمر الأرض إذا تبع الشمس في إنارة الأرض بعد غياب الشمس في الليل البهيم، وهذه إشارة واضحة إلى موالاة القمر للشمس في غروبها وشروقها.

وإذا أضفنا إلى ذلك طبيعة نور القمر التابع لضوء الشمس، أدركنا قوة الإشارة التي تقول بتبعية القمر إلى الشمس، فالقمر يدور حول الكرة الأرضية، والقمر والأرض يدوران حول الشمس الأم لكل الكواكب والأقمار.

٦. نور القمر من ضوء الشمس:

القمر جرم سماوي يكتسب نوره من ضوء الشمس، وقد عرف القدماء ذلك من خلال تعدّد أطواره الضوئية وتنوعها، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الاكتساب الضوئي من خلال عدة آيات قرآنية كريمة.

لقد اقترن القمر بالشمس في أغلب الآيات التي أوردت القمر، ويمكن أن يكون ورود الاقتران بسبب تقارب حجم الشمس والقمر الظاهري أو وضوحهما المتميّز في السماء.

ويمكن أن يدل هذا الاقتران على قرب المسافة بين الجرمين (الشمس والقمر) ووقوعهما في مساحة سماوية واحدة، وهذا سبب أساسي في اكتساب نور القمر من ضوء الشمس الساطع، فوقوع الشمس والقمر والأرض في جهة واحدة هو الذي يعطي القمر نوره وأوجهه المختلفة ولو كان القمر والشمس متباعدين لما استطاع القمر أن يكتسب نوره من الشمس.

ومن الآيات التي ذكرت اقتران

الشمس مع القمر مع الليل والنهار يمكن أن نذكر قوله تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ... ﴾[سورة النحل: ١٢].

وقوله تعالى أيضاً: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ... ﴾ [سورة الأنبياء: ٣٣].

وقوله سبحانه وتعالى أيضاً: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ... ﴾[سورة فصلت: ٣٧].

وذكر القرآن الكريم أيضاً أن الشمس ضياءٌ وسراجٌ وسراجٌ وهّاج، وأنّ القمر نورٌ وليس سراجاً ولا وهّاجاً، مفرقاً بين ما تبثّه الشمسُ من ضوء وحرارة وما يبثّه القمرُ من نور.

قال تعالى: ﴿ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ﴾[سورة نوح: ١٦].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ ... وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجٗا وَقَمَرٗا مُّنِيرٗا ﴾[سورة الفران: ٦١].

٧. القمر أساس التقويم:

ومن تسخيرات القمر الكثيرة، ورد هذا الجرم الجميل في القرآن مادةً لحساب الزمن وتنظيم التقويم، ورد واضحاً سهلاً لأهل الأرض يحسبون به أيامهم وشهورهم وسنينهم.

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الحساب والتوظيف العملي بقوله تعالى: ﴿ فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗا ﴾[سورة الأنعام: ٩٦].

فالقمر ومثله الأجرام السماوية الأخرى الشمس والنجوم والأجرام السماوية المتنوعة، يجري في فلك محدّد دون أيِّ تداخل وتصادم مع الأفلاك الأخرى، أي يدور حول الكرة الأرضية في مدار خاص به، وفي الوقت نفسه يدور مع الأرض في مدار خاص آخر حول الشمس.

وقد أدرك القرآن الكريم حركة القمر وجريانه في فلكه الخاص في الآية الشريفة التالية: ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴾ [سورة يس: ٣٨ – ٤٠].

ومن حركة أو جريان القمر في السماء

واقترانه بالأرض والشمس يظهر القمر على شكل أهلة، يبدأ بهلال ضعيف نحيل ثم يصبح نصف كرة ثم كرة كاملة (بدراً تاماً) ثم يعود نصف كرة ثم هلالاً من جديد ليتم (شهراً قمرياً) واحداً.

ومن جمع اثنتي عشرة دورة للقمر حول الأرض تتكون السنة (السنة القمرية) وهي التي أكد القرآن الكريم عليها من خلال أكثر من آية قرآنية شريفة.

قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ... ﴾[سورة البقرة: ١٨٩].

وقال سبحانه وتعالى أيضاً: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ .. ﴾[سورة التوبة: ٣٦].

وعلى هذا، فالقرآن الكريم سخّر هذا المخلوق السماوي الجميل لحساب الزمن والتقويم، وذلك لسهولة رصده وتتبع ظهوره وتنوعه الدال على الأيام، وتتبع أشهره الدالة على حساب السنة القمرية.

وهي سنة واضحة سهلة الحساب، أوضح من السنة الشمسية التي تتكون من إكمال حركة الشمس الظاهرية دورة كاملة في دائرة البروج والتي يصعب تتبعها تتبعاً حسياً رصدياً.

٨. فناء القمر في القرآن:

وبعد ذلك فالقمر مخلوق من مخلوقات الله سبحانه وتعالى الكثيرة، له بداية وله نهاية، له أجل محدد معلوم سينتهي فيه، وبتلك النهاية سيذهب الجمال والكمال، ولا يبقى سوى وجه الله خالق القمر والشمس وكل شيء.

وستقع تلك النهاية القمرية ضمن الانهيارات الكونية الكبرى، انهيار السماء والنجوم والأرض والشمس والقمر، وقد ذكر القرآن الكريم تلك النهاية القمرية في أكثر من آية قرآنية شريفة، قال سبحانه وتعالى: ﴿ ...وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[سورة لقمان: ٢٩].

وقال سبحانه وتعالى أيضاً: ﴿ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ... ﴾[سورة فاطر: ١٣].

ولا نعرف متى سيكون هذا الأجل المسمّى (المحدد) الذي قدره الله تعالى للقمر وغيره من الأجرام السماوية الكثيرة.

وفي ذلك الوقت (يوم القيامة) سيخسف القمر ويذهب نوره ويجمع الشمس والقمر، ولا مفرّ من ذلك اليوم ولا مهرب منه، قال سبحانه وتعالى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ [سورة القيامة: ٧-٩].

إن هذه البداية والنهاية والمواصفات والخصائص الكثيرة التي ذكرها القرآن الكريم للقمر، لهي دليل واضح على ورود القمر في القرآن مادة علمية يُمكن دراستها دراسة علمية مفصّلة، ويمكن تطويرها إذا جدَّ الإنسان في ذلك، ولا تمت بأية صلة بالقمر الذي يستخدمه أهل التنجيم والمشعوذون في خداع الناس وأبناء المجتمع.

أهم مراجع البحث

القرآن الكريم

١- مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الطبرسي، تحقيق: هاشم المحلاتي وآخر، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٨م.

٢- الكشّاف، أبو القاسم الزمخشري، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م، ط٢.

٣- الميزان في تفسير القرآن، العلامة محمد حسين الطبطبائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٧١م.

٤- موسوعة القرآن العظيم، د. محمد عبد المنعم الحنفي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٤م.

٥- موسوعة الإعجاز القرآني في العلوم والطب والفلك، د. نادية طيّارة، مكتبة الصفاء، أبو ظبي، ٢٠٠٧م.

٦- السماء والكون في القرآن الكريم ونهج البلاغة، عبد الأمير المؤمن، المؤسسة الإسلامية للبحوث والمعلومات، قم، ١٤٢٨هـ.

٧- أسرار الكون في القرآن، د. داود السعدي، دار الحرف العربي، بيروت، ١٩٩٧م.

٨- مفردات ألفاظ القرآن الكريم، الراغب الاصفهاني، تحقيق: صفوان داوودي، قم، (أوفست منشورات طليعة النور).

٩ـ معجم أكاديميا للمصطلحات العلمية والتقنية، رئيس التحرير، د. محمد دبس، منشورات أكاديميا، بيروت.
١٠ـ التراث الفلكي عند العرب والمسلمين، عبد الأمير المؤمن، معهد التراث العلمي العربي، جامعة حلب، ١٩٩٢م.
١١ـ قاموس دار العلم الفلكي، عبد الأمير المؤمن، دار العلم للملايين، بيروت ٢٠٠٦م.
١٢ـ المنظومة الشمسية، تراث تأسيسي وحاضر مثير، عبد الأمير المؤمن، ندوة الثقافة والعلوم، دبي، ١٩٩٧م.
١٣ـ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد المقرّي الفيومي، منشورات دار الهجرة، قم ١٤٠٥ (اوفست).